الأبد الصغير

قصة بقلم خالد الشريقي

مرة في العمر يستحيل الشوق الى رماد ، ويظل يومض تحت الرماد خيط من النار الملفح بالحقد ، والحناجر الفولاذية ـ التي لا تبح ابدا ـ تظل اصوات الثار تنطلق منها كالحمم ، حتى تلتهب النار تحت الرماد ، عصارة السيل ، لتحرق النفايات العفنة ، وعندها فقط ، تنام الاصوات ، وتتضارب الايدي السمراء بنشوة ، والشوق الطويل المبرح ،يطل من كوة الماضي ليهتف للنصر ويصفق .

عن قريب ستكون هذه الارض الهادئة بحيرة من الدماء يسبح فيها اناس بلا رؤوس ربما كنت واحدهم ، والروائح النتنة التي تخدش الانف تحتضن الهواء ، والليل الطويل كهذه الليلة يشتعل بالبارود ، كأنما الشمس لا زالت تعلن وجودها ، ووقتها لن نحتاج الى صمت هذه الليالي الباردة ، حتى ولن نشعر بالهواء يصفع وجوهنا ، وانما تلتصق اصابعنا ذات العقد على قطعة من الحديد ترسم علامة استفهام وتضغط بحركة اوتوماتيكية كدقات القلب ، والدم المتخثر ينام الى جانب كثير من الجثث المنثورة اشلاؤها في قلب هذه المستعمرات التي زرعت قريبا من الحدود .

خيط من العنكبوت اطلقوا عليه لفظ « الحدود » يفصلني عنها ، وعدد من الاسلاك الشائكة الصدئة تقوم الى جانبي لتشترك مع الخيط العنكبوتي في اسمه .

هذه الارض لنا ، وتلك لليهود ..

وبالامس القريب كان واحدنا اذا حاول اجتياز هذا النهر لا يسمع كلمة يهودية مجنونة تقول له « قف » أو رصاصة تركض اليه لتمنعه من التقدم .

ـ قف ! من انت ؟

ـ حرس للتبديل ..

ـ تقدم ...

.....

* * *

الارض لا تزال مبتلة من امطار البارحة ، والاحجار المرصوفة ذات الرؤوس المسننة تنخر ظهري كأنها مسامير دقت الى الارض ، كانت البارحة مرفأ للامطار ، ورفاقي متكومون متلاصقون ، تقيهم البرد خيمة صغيرة فتح فيها الهواء نوافذ فوضوية كثيرة .

يصعب علي التنقل الى جنبي ، فالحذاء الضخم الذي دقت في بطنه المسامير ، المتخم بالوحل يشد رجلي الى اسفل بجاذبية ثقيلة تجعلني كواحد حرك منوم مغناطيسي يديه امامه .

ـ أكل شيء هادىء ؟

ـ اجل يا سيدي ..

ـ وهل الذخيرة في مذخراتها ؟

ـ اجل يا سيدي ..

ـ أأفهمت الحرس ؟

ـ كل عند نوبته ..

ـ متى ذهب جنود الكمين ؟

ـ في تمام الواحدة ..

ـ هل اصطحبوا معاطفهم ؟

ـ اجل يا سيدي .. فالليلة باردة ..

ـ حسنا .. أبامكانك ايقاظي في الرابعة ؟

ـ .....

ـ سأمر انا عليك يا سيدي في طريقي الى المحرس ، فالرابعة موعد نوبتي الثالثة ..

ـ لا بأس .. سأعتمد عليك انت اذن ..

.....

لم يكن البارحة كل شيء هادئا مع احمد ، حارس اقرب مخفر من الحدود . وعندما وصلنا اليه ، كانوا قد هربوا ، ورأيناه ممددا الى جانب مسدسه الرشاش ، وعلى يمينه كومة من اغلفة الطلقات المزروعة في الوحل .

لم يكن هذا اول اعتداء على مخافرنا الامامية ، مع اننا لم نعتد عليهم مرة .

انا في حياتي لم اعتد على انسان ما ، لم اتحرش بأحد ، كان اصدقائي يسمونني (المسكين) ، ومن صميمي كنت أثور دون ان اظهر لهم ذلك ، بل اكتفي بابتسامة اقذفها من جانب شفتي اتصنع فيها عدم الاهتمام .

حتى ان بعضهم اطلق علي (الجبان) ، فقد كانوا يتندرون بمغامراتهم الصبيانية ، وكنت اصغي اليهم بلهفة وشوق ، ولا اجد ما اقوله لهم سوى خلق مشكلة عذبت فيها امي .

كانوا يعرفون اني اكذب عليهم ، ولا يريدون احراجي ، فيتظاهرون بالضحك والاعجاب .

وكان ابي قاسيا غليظ القلب يكيل لي كل يوم عشرات الاكف لاتفه الاسباب ، وامي المسكينة التي تحاول الدفاع عني ، كان يصيبها الكثير وهي تصرخ :

ـ حرام عليك يا حسين .. انه لا يزال طفلا ..

ومن يومها نشأت لا اجسر التعدي على احد ، خوف العاقبة التي يستقبلني فيها ابي وعصاه الغليظة ذات العقد في يده يهزها ويشير اليها ويقول لي :

ـ « ان ام عبيد تحبك » ..

وتملكني الخوف : وابتعدت عن كل ما يستوجب القتال ، حتى اني كنت اشفق على الحيوانات التي يضربها اصحابها ، كأنما الاسواط التي تنزل عليها عصا ابي على ظهري ، فأتوجع ، وأتمنى لو يحرق الله جميع اشجار الارض .

وفي يوم سرق مني فتى شرير في الحي « الطابة » التي اهدتني اياها اختي حين انت الينا مع زوجها . واردت استردادها ، فلم استطع . وتمنع الفتى الشرير حتى ضاق ذرعا بالحاحي ، فضربني على فمي بقسوة ولم احتمل كفه الغليظ ، فهجمت عليه بقوة انسان بلا شعور ، جاعلا من يدي ورجلي مجاذيف افقدته توازنه ، فوقع على الارض . وانحنيت ، فتناولت الطابة التي افلتت من يده ، وسرت بها امسح الدم الذي ينزف من فمي ، ومن حولي الرفاق مشدوهون ، كيف أتتني هذه القوة ؟ ... كيف لم تتراقص امامي عصا ابي ؟.. هذا ما لم افكر به ساعتذاك .

ومن يومها لم يسمني اهل الحي (الجبان) .. ومن يومها ايضا لم يضربني ابي .

الهواء يشتد في الخارج ويود لو يقتلع كل شيء .. والامطار توشك ان تولد من جديد الجري في شرايين الارض متدفقة ، لو تتجمع هذه الامطار وتسيل مجتاحة المستعمرات التي لا يفصلني عنها غير خط الحدود ..

نجمة الصبح .. كعوش .. روشبينا ..

المعارك التي كنت اتوق الى سماع اخبارها لسنين خلت ، مثلت على هذا المسرح ، كل حفنة من التراب ممزوجة بدماء شهدائنا ..

نجمة الصبح ..

كنت اهلل حين سماعي للبطولات العربية على جوانبها ، اقف عند الراديو ادفن في نفسي كل كلمة تنطق منه ، أهتف .. اصيح في الاضرابات التي اشتركت فيها ورفاقي الطلاب .. ونجوب الشوارع حاملين لافتات استنكار .

وهناك في بلدي ، وكل بلد عربي، طلاب كثيرون يحملون اللافتات التي كتب عليها بخط عريض عبارات الاخلاص التي تخرج من القلب ، تماما كقلب « رفيق » حين قال باخلاص وشجاعة : (انا يا استاذ) .

لم ننكر دهشتنا حين دخل علينا رجال زرعوا الصمت في عيوننا ، وقد جمع عجبنا في الرجل البدين الذي تدور خلف نظارتيه حبتا خرز صغيرتان عندما راح بحماس شديد يحدثنا عن العائلات المشردة والفاصبين الاعداء ، وحبتا الخرز الصغيرتان تكادان تركضان من عينيه لتتسمرا في عيني كل واحد منا .

وصمت الرجل البدين بعد ان رسم امام كل واحد منا علامة استفهام. وتقدم الاستاذ يقول ويداه تسبحان في الهواء :

(من منكم يريد التطوع في جيش الانقاذ) ...

وجمدت الحركات ....

أيعطوننا بواريد نحارب بها ، وقد اتهمنا الاستاذ ذات مرة باننا نبكي من اجل « خبزه » ؟

احدنا لم يصدق ، وبقينا وهلة صامتين كاننا ننتظر كلمة تصديق من اللجنة التي تتفحص وجوهنا ، حتى شق السكون صوت من اخر الصف : (انا يا استاذ) .. كان رفيق ـ زعيم الصف وقتذاك ، والطالب الجامعي الان ـ قد انتصب يوزع نظراته علينا كانه يستحثنا على الافلات من جمودنا ...

ورفعت يدي : « انا يا استاذ » .. وتتالى رفع الايدي.. انا يا استاذ .. انا . لكنهم لم يأخذونا ، وعندما سألت الاستاذ السبب اجاب :

ـ لا زلتم صغارا .. تركنا اسماءكم لايام قريبة ..

والان قد كبرت ، وضاقتني الايام القريبة ، لم اعد بحاجة لان اقول « انا يا استاذ » .. وجودي هنا على الحدود يعلن كل شيء .

وان فسفور الساعة ـ المدفونة في جيبي ـ يلمع كهذا البرق الذي لم ينطفيء ، بقي عشرون دقيقة لاستلم نوبتي الثالثة ، والصباح الجديد بعد قليل سيولد يحمل لنا دفء الشمس المستريحة على كتف غيوم كسلى .

بلدتي غيومها سريعة ، كثيرة الامطار ، تسيل انهار من المياه على جوانب شوارعها العريضة . كنت اتلذذ بالسير تحت الزخات الخفيفة ، بينما الناس يتسترون بالمظلات التي يكاد الهواء يقتلعها من ايديهم ، وكانت امي تحاول منعي ، لم اكن اطيعها ، لو كنت في مدينتي الان ومنعتني امي السير لامتثلت لها .

يا امي الطيبة ... وصاياك تعيش في صدري ، كلماتك المخلصة تسبح في دمي :

« ان لم تدافع عن ارض اخوانك ، انت واخوانك ، من يقاتل ؟ .. انا ؟ ... ابوك ؟.. اخوتك الصغار..؟ »

كنت احمل اغراضي القليلة عندما ضمتني اليها تقبلني وهي تبكي،واخوتي من حولي يرمقونني بأعينهم التي تطفح بالبراءة ، واخي الصغير الالدغ يسألني باشراق وانا اقبله :

ـ « وين غايح .. خدني معك .. »

وابي قد ارتفق النافذة الخضراء ، لاول مرة ارى دموعه تعمل لها طريقا بين شعيراته الثلجية ، لم اعرف عينيه الا صحراء لا تنبع الماء

وابتلعتني السيارة مع الشبان الكثيرين ، وسارت مع السيارات السمراء قافلة تسرق الشمس ، ومن حولنا الايدي تلوح لنا مودعة ، وترشنا

صدر حديثاً عن دار المكشوف

١ ـ العشق الالهي

٢ ـ عشق الجواري

وهما الجزآن الاول والثاني من كتاب

تزيين الاسواق بتفصيل اشواق العشاق

للعالم العلامة الشيخ داود الانطاكي

وتصدر تباعا الاجزاء الباقية ، وهي :

٣ ـ عشق المجهول

٤ ـ عشق الغلمان والحيوان والنبات

٥ ـ عشق الافلاك

٦ ـ غرائب العشق

دار المكشوف بيروت ، ص.ب ٥٨١

بالزهور، والصغار يهتفون .. تماما كما هتفت فى الاضرابات وانا طالب فى الصفوف المتوسطة .

كنا ننشد بحماسة بالغة « نحن الشباب » .. « موطني » .. وفي زاوية السيارة قريبا مني اتكأ شاب اسمر غليظ يغني لنفسه بصوت لا يكاد يسمعه غيري :

يمه ليه تبكين عليه وانا المسافر ع الجهادية

وامامي اخر كان نظره يتذبذب بين الارض وورقة مسترخية فى يده .

وفى جيبي ايضا كانت ورقة صغيرة ، مطوية بعناية ، مكتوبة بخط انيق كنت اقرأها كلما يتعب صوتي

(لن اودعك .. لاننا سنلتقى بارادة الله .. دعواتي وحبي لك ..)
« حياة »

حياة .. الفكر التي داعبتني منذ سنوات اربع .. جارتي التي ولدت فى ضوء القمر .

ـ الم تنم بعد ؟

ـ ....

ـ حانت نوبتك ...

أنا فى طريقي الى المحرس الصغير ، وقد تلفحت بالمعطف السميك ، والوحل يتزايد على حذائي الضخم كأنما رجل حديدي يسير برجلي ، والخوذة الفولاذية الثقيلة تغطي رأسي وتكاد تسد الطريق امام عيني .

ـ سيدي الساعة الرابعة الان .. سيدي هلا استيقظت ؟

ـ من انت ؟.. ماذا تريد ؟..

ـ الساعة الرابعة الان ، الم تطلب منا ايقاظ ؟.

ـ آ ... اجل ... اجل .. هل الساعة الرابعة الان ؟..

ـ نعم يا سيدي .. الا دقيقتين

ـ حسنا ... حسنا .. شكرا لايقاظك لي ..

المحرس المسلول يسعل فى هذا الهواء المجنون ، وربما بصق سقفه التوتيائي كما فعل اول البارحة ، وهيكل حمدان يتراقص امامي ، بعد دقائق سيتراقص هيكلي بدل حمدان ، وسأدفن نفسي فى هذا المحرس ، وعندما اشعر بالملل ، سأعلق بارودتي على كتفي ، واتمشى امتارا معدودة لاقف على عتبة ذكرياتي احلم باشياء كثيرة .. وبالفكرة التي داعبتني منذ سنوات اربع .

ـ قف .. من انت ؟

ـ حرس للتبديل ..

ـ تقدم ...

مرة فى العمر يستحيل الشوق الى رماد ، ويظل يومض تحت الرماد خيط من النار الملفح بالحقد ، والحناجر الفولاذية ـ التي لا تبح ابدا ـ تظل اصوات الثأر تنطلق منها كالحمم ، حتى تلتهب النار تحت الرماد عصارة السيل لتحرق النفايات العفنة ، وعندها فقط تنام الاصوات ، وتتضارب الايدي السمراء بنشوة ، والشوق الطويل المبرح يطل من كوة الماضي يهتف للنصر ويصفق ، والعيون الارقه تظل تحدق فى الخيط العنكبوتي ، حتى تستحيل هذه الارض بحيرة من الدماء يسبح فيها اناس بلا رؤوس .

خالد الشريقي اللاذقية

جرير
جميل
يزيد بن الطثرية
جميلة
عبد قيس بن خفاف البرجمي
ابو دلف
سعيد بن عبد الرحمن
البردان
الاخطل
الثائب خاثر
جرادنا عبدالله بن جدعان
سلامة القس
العباس بن الاحنف
هؤلاء تراجم المجلد الثامن

كتاب الاغاني

صدر اليوم المجلد الثامن من كتاب الاغاني والطبعة الثانية للمجلد الاول

الطبعة الممتازة التي تصدر عن دار الثقافة ببيروت

تعتذر دار الثقافة الى جميع قراء هذا الكتاب والى عملائها فى البلاد العربية عن التأخير الذي حدث لصدور هذا الكتاب ويعود الى اسباب فنية مطبعية اما اليوم فقد استوردت اللازم وهي تتعهد بمتابعة الصدور وقد أعيد طبع المجلد الاول وهي تعمل ايضا على اعادة طبع المجلد الثاني الذي سوف يصدر بخلال شهر ونصف مع المجلد التاسع .

اطلب الاغاني وعموم منشورات الدار من :

مكتبة دار الثقافة ـ ساحة رياض الصلح ـ بيروت

تليفون ٣٠٥٦١

وعموم المكتبات فى البلاد العربية